نظرة يقظة في مقدمة
أحلام اليقظة



حيدر الوكيل

نظرة يقظة

في مقدمة الاستاذ الطريحي لأحلام اليقظة



حيدر الوكيل

نظرة يقظة

في مقدمة الاستاذ الطريحي لأحلام اليقظة

حيدر الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين .

كتب الاستاذ الفاضل الدكتور محمد جواد الطريحي اعزه الله تعالى مقدمة لكتاب المرحوم العلامة المظفر (رحمه الله) احلام اليقظة، وعند قرائتي لها وجدت مواضع للنظر والتعليق .. وقد طلب مني فضيلة الاخ العلامة الشيخ عبد الامير الطريحي دام عزه ان اكتب ما عندي فاستجبت له سائلا المولى سبحانه ان يغمرنا جميعا بعفوه ورحمته مستميحا العذر من جناب الدكتور الجواد الطريحي ..

وساقف مع الاستاذ الدكتور في واحات

واسال الله تعالى التوفيق

الواحة الاولى

دعا الاسلام في اهم مصادره ـ القران الكريم والسنة الشريفة ـ الى التعقل ومدح العقل والذين يعقلون بالفاظ مختلفة وباساليب متنوعة ركزت دور العقل واهميته في المنظومة الفكرية الاسلامية ، وهذا ما لا يحتاج الى الاستدلال فالقران بين ايدينا وكتب الحديث افرد بعضها كتابا للعقل كالكافي والمحاسن والبحار .

ومن هنا لامجال للمناقشة في الدور الهام للعقل في الفكر الاسلامي ، ولكن نجد ان هناك خلطا كبيرا بين العقل المشار اليه وبين ما يسمى بالعلوم العقلية .

العقل في أيسر معانيه هو القوة المفكرة التي تدرك وتعطي القيمة وتحدد الطريق .

العقل هو قوة مودعة في الانسان ترتبط في أُسسها بالبديهيات التي هي رأس مال الفكر وتنطلق منها الى سائر المعلومات التي ترتبط بحياة الانسان العلمية والعملية .

هذه القوة الفطرية الموهوبة من الله تعالى للانسان هي ما استثاره القرآن والسنة ودعاه الى التمييز بين الحق والباطل وخاطبه تعالى كما في الحديث الصحيح عن محمد بن مسلم : .... وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا " هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أُحب ، أما إني إياك آمر ، وإياك أنهى وإياك أُعاقب ، وإياك اثيب[١] .

وهناك ما يسمى بعلم المعقول او الفلسفة التي قد يعبرون عنها بالحكمة الالهية وهذه محط اختلاف عند علماء الامامية وصل الى حد التكفير على ما ذكره الميرزا النوري ره في خاتمة المستدرك نقلا عن الروضات من قول بعضهم في شرح ملا صدرا لكتاب الكافي :

شروح الكافي كثيرة جليلة قدرا واول من شرحه بالكفر صدرا[٢]

ومن هنا يظهر ان تحميل الحث الاسلامي على التعقل والموقف الايجابي للشيعة من العقل على الفلسفة في غير محله وذلك :

---

١ ـ الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠ .

٢ ـ المستدرك ج٢ ص ٢٤١ .

اولا : لاختلاف المعنى المراد بكل منهما كما اوضحته ونزيده بيانا فنقول :

العقل في النصوص الشريفة هو قوة الادراك البديهي الواضح الذي يقود الانسان الى ما هو الحق علما وعملا .

اما العقل والمعقول عند القوم فهو علم له أُسسه ومدارسه ومسائله التي يختلفون فيها الى حد الخروج عن الميزان العلمي السليم ، وبهذا تعددت مسالكهم ومدارسهم فالمشاؤون حاولوا الوصول الى النتائج بواسطة البرهان وفق الضوابط المقررة في علم المنطق الذي جعلوه الاساس لأبحاثهم ، اما الاشراقيون فاعتمدوا تصفية النفس بواسطة الرياضات وانتهجوا منهجا آخر في الوصول الى العلم عماده الكشف ، وبين المسلكين بون شاسع وفضاء واسع .

اما لو أراد ما قد يعجب بعض الباحثين الحديث فيه من أن للاسلام فلسفة تميز بها عن الفلسفة اليونانية ..الخ كلامه ص ١١من المقدمة فهو صحيح لكن بمعنى أن له منظومته الخاصة التي بينها الكتاب والسنة والعقل بالحدود التي ذكرتها مصادر الفكر

الاسلامي ولا معنى لأخذ الاسلام من غير مصادره والتعويل على فلسفة مشائية او اشراقية او صدرائية او غير ذلك ..

الاسلام له منظومته العلمية الملائمة للعقل والفطرة وليس في الاسلام قواعد عقلية بنحو ما هو مبحوث في كتب الفلسفة .

ثانيا : اعتراف جملة من الباحثين بالتقاطع بين الاسلام في بعض قطعياته مع الفلسفة في أهم مفكريها ، ومنهم الشيخ محمد تقي الاملي حيث قال :" (اقول) هذا غاية ما يمكن ان يقال في هذه الطريقة ولكن الانصاف انه عين انحصار المعاد في الروحاني لكن بعبارة اخفى فانه بعد فرض كون شيئية الشئ بصورته وان صورة ذات النفس هو نفسه وان المادة الدنيوية لمكان عدم مدخليتها في قوام الشئ لا يحشر وان المحشور هو النفس غاية الامر اما مع انشائها لبدن مثالي قائم بها قياما صدوريا مجردا عن المادة ولوازمها الا المقدار كما في نفوس المتوسطين من اصحاب الشمال او اصحاب اليمين واما بدون ذلك ايضا كما في المقربين . (ولعمري) ان هذا

غير مطابق مع ما نطق عليه الشرع المقدس على صادعه السلام والتحية .

وانا اشهد الله وملائكته وانبياءه ورسله اني اعتقد في هذه الساعة وهي ساعة الثلاث من يوم الاحد الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٦٨ في امر المعاد الجسماني بما نطق به القران الكريم واعتقد به محمد صلى الله عليه واله والائمة المعصومون صلوات الله عليهم اجمعين وعليه اطبقت الامة الاسلامية و لا انكر من قدرة الله شيئا"[١] .

وهذا مورد للتمثيل وهناك الكثير غيره يجده المتتبع في كتب القوم .

ثالثا : انتج الموقف التعقلي للشيعة علم اصول الفقه وهو علم قدم فيه أعلام الامامية أسمى النظريات العلمية والتحليل العقلي الدقيق للكثير مما يحتاجه الفقيه في عملية الاستنباط .

---

١ ـ درر الفوائد ج٢ ص٤٦٠ .

قد يقال ان هذا العلم تأثر كثيرا بالفلسفة فكانت من روافده المهمة كما ذكره بعض الاعلام .

ونقول : نعم هناك تأثر للاصول بالفلسفة ولكنه لا يصب باتجاه تطوير علم الاصول بل هو نكسة ينبغي بذل الجهد بكثير من الجرأة لتخليص علم الاصول من الوافد الفلسفي الذي أربكه وأبعده عن الغاية منه ..

والخلاصة :

ان النص الديني وما ورد عن الامام علي عليه السلام "وهو فلك الحقيقة وخزانة العقل" ، لا يمت للفلسفة المدرسية بصلة بل يتقاطع معها في الكثير من مفرداتها .

الواحة الثانية

الفكر الاسلامي ليس نتاجا بشريا بل هو عطاء السماء لنا بلّغه نبي ما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ، ومن هنا فلا مجال لدعوى أن " لم تكن المبادرة العلوية بمعزل عن التفكير الفلسفي في تاريخ الانسانية في مخاضها العلمي " فالتأصيل الحضاري في الاسلام ليس بمعنى الامتداد التطوري للحضارات البشرية ، بل ان هذه الدعوى ذات جذور[١] غريبة عن الاسلام ومعطيات حديثة[٢] شذت عن المسار الاسلامي العام في محاولة تصفية اسس الفكر الاسلامي وزعزعة قواعده .

الاسلام بكل ما جاء به يمثل نهضة فكرية كبرى تؤكد ارتباطها بالسماء وانها ليست نتاجا بشريا ، ومن هنا لامعنى لدعوى الارتباط الحضاري بين الفكر الاسلامي والحضارات السابقة .

١- قال تعالى " ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر .." النحل ١٠٣ .

٢- مثلتها دعوى تعدد القرآآت التي يتشبث بها بعض الحداثويين .

ومن الضروري ان ننبه الى ان ما جاء في ص١٤ و١٥ من رصد تاريخي لمدارس فلسفية نشأت في المنطقة لا يعني انتقال ذلك الفكر الى الاسلام وعرض الامام أمير المؤمنين صلوات الله عليه " الدين موضوعا من موضوعات التفكير والتأمل " لينتقل الى نتيجة " ومن هنا ابتدأ النظر والتأويل الفلسفي في الفكر الاسلامي " .

بل ان التفكير الفلسفي نشأ في الاسلام بعد ذلك ومن قبل السلطة الجائرة الخاوية لمواجهة الفكر الاسلامي الاصيل المتمثل بآل البيت الاطهار صلوات الله عليهم .

اما ما كان فيه اهل العراق والكوفة على التحديد فهو نتاج تربية اسلامية وارتباطهم بآل البيت اما مباشرة عند ورودهم الى المدينة او مكة المكرمة ، او من خلال اصحابهم الذين سمحت لهم السلطة آنذاك بالخروج عن المدينة كما في ولاية عمار بن ياسر رضوان الله عليه على الكوفة من قبل الخليفة الثاني ، فالصوت المفكر الواعي جاء بواسطة آل البيت صلوات الله عليهم وولد في الكوفة نمطين من الناس :

الاول : هو الخط الواعي المتدبر الذي آمن بالاسلام حقا ، وهم قلة من مثل الأشتر وعبد الله بن جندب وغيرهم وهؤلاء بقوا مخلصين للخط العلوي الطاهر الى آخر نفس .

الثاني : المنافقون المصلحيون الذين علموا بان هذا التوجه لا يمتلك رؤية التفضيل وشراء الولاء واسكات الاصوات بالمال والمنصب .

هذا ، واذا لاحظنا مدى الالتزام العلوي الذي لا يسمح له وهو علم التقوى ان يأخذ بذنب قبل وقوعه ، وان كان ذلك الذنب هو قتله صلوات الله عليه ، نجد أن من الواضح أن يجد الصوت المعارض مجالا واسعا للانطلاق ، لا لأن القوم ورّاث حضارة فلسفية ولكن لسعة صدر الحاكم والتزامه بمبادئه الكبرى .

واخيرا نؤكد أن الاقوام التي خطب فيها علي صلوات الله عليه لم تكن بقايا الارث الحضاري للمنطقة ، بل هم اما عرب الجزيرة الوافدون للفتح ، او اخوانهم من عرب العراق الذين كانوا متشتتين

في الصحراء ، اما المناذرة فلم تكن تشكل مركزا حضاريا علميا لتنطبع آثاره في الذهنية العامة لمن سكن الكوفة آنذاك .

الواحة الثالثة

ليس التوحيد عقيدة معقدة لتترك للتأصيل العلمي والتعقيد الناشئ من تراكم الخبرات البشرية بخطأها وصوابها ، بل هو عقيدة واضحة تلائم الفطرة الانسانية ويدلنا على صحة هذا القول عموم الدعوة لعقيدة التوحيد وعدم قصرها على فئة مخصوصة .

ومن هنا نجد أن الدعوة الاسلامية في نصوصها الاولى اعتمدت استثارة الواضحات ، والتنبيه لما غفلت عنه العقول بما ران عليها من اهواء او تحريفات ذهبت بها بعيدا عن التفكير السليم والاستنتاج البيّن .

ومن هنا نجد أن التعقيد الذي حدث في علم التوحيد نشأ عن الابتعاد عن العطاء الاسلامي الكبير واتباع الفلاسفة بما تُرجم من كتبهم في عهد بني امية وبني العباس.

والحاصل ان التوحيد عند الشيعة تبعا لأئمتهم يباين التوحيد عند الفلاسفة ، لا سيما مدرسة الملا الشيرازي (ملا صدرا) الذي قال بوحدة الوجود كما اعترف به الشيخ المظفر ره في مقدمته على الاسفار[١] ، ولا ريب ان التوحيد الذي بينه الامام امير المؤمنين علي صلوات الله عليه لا يمت الى هذه الدعوة الباطلة بصلة .

ومن هنا لا مجال للمساعدة على دعوى ان التيار العقلي الذي أحدثة العطاء العلوي في التوحيد هو الذي أنتج "الالاف من مفاخر العلماء الحكماء لتأصيل دراسات الفلسفة الاسلامية " .

وابعد منها دعوى ان الفلسفة " انتهلت من المعين الصافي لمدرسة النبوة والامامة "

وذلك لأُمور :

الاول : ما مر ذكره من التقاطع بين العطاء الاسلامي والبحث الفلسفي ونذكر هنا شاهدا اخر : قال السيد هاشم الحسيني

---

١ ـ انظر المقدمة الكاملة للاسفار .

الطهراني في ما علقه على كتاب التوحيد للشيخ الصدوق قدس سره ص٣٢٨ في تعليقته على الحديث الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال : المشيئة محدثة ، قال معقبا :" ومشيئة الله تعالى تارة تؤخذ باعتبار تعلقها بافعاله تعالى فهي عند الحكماء واكثر المتكلمين قديمة من صفات الذات وعند ائمتنا صلوات الله عليهم وبعض المتكلمين كالمفيد رحمه الله حادثة من صفات الفعل ..

وهذه التقاطعات الكبيرة والكثيرة والواضحة تنفي ما ذكره صاحب المقدمة في هامش رقم ٢ في الصفحة ١٣ عن الشيخ المظفر من " تظاهر الفلسفة بتأييد الدين الاسلامي وظهور نتائج اتفاقها مع العقائد الثابتة " .

فالفلسفة لم تؤيد الدين بل هي تحاول أن تحل محله وتؤول نصوصه وتبتعد عن أهم معطياته في أكبر محاولة التفاف على الدين والله المستعان .

الثاني : تصريح أعلامها المؤسسين بمآخذها ، فابن سينا تعلمها بمطالعة كتب الفلاسفة في مكتبة لملك في قصة معروفة ذكرها المرحوم الشيخ اغا بزرك في طبقاته في ترجمة ابن سينا .

اما ملا صدرا فقد صرح بأخذ مطالبه من فلاسفة اليونان في الاسفار وغيره [1] ، كما اعترف حسن زادة آملي والمظفر ره والحيدري

---

١ - والملا الشيرازي هذا وهو مؤسس فلسفة الحكمة المتعالية والمروج لها في الوسط الشيعي له كلمات كثيرة في اجلال وتقديس الفلاسفة السابقين من اليونانيين والملطيين ، قال في كتابه حدوث العالم ص ١٥٥ و٢٥٦ :" واساطين الحكمة المعتبرة عند اليونانيين خمسة : انباذقلس وفيثلغورس وسقراط وافلاطن وارسطاطاليس ـ قدس الله نفوسهم ـ فلقد اشرقت انوار الحكمة في العالم بسببهم وانتشرت العلوم الربوبية في القلوب بسعيهم وكل هؤلاء كانوا حكماءا زهادا عبادا متالهين معرضين عن الدنيا مقبلين على الاخرة . فهؤلاء الخمسة يوصفون بالحكمة ثم لم يسم احد بعد هؤلاء حكيما ..الخ

ويقول في الاسفار ج ١ ص ٣١ :" واقتفيت آثار الحكماء السابقين بمقدار والفضلاء اللاحقين ، مقتبسا من نتائج خواطرهم وانظارهم مستفيدا من ابكار

وغيرهم بان مطالب الاسفار هي شرح برهاني لمطالب ابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص ..فراجع التوحيد للسيد كمال الحيدري ج١ ص ٢٢٩ ، و انه عيال على ابن عربي الصوفي الضال .

اما دعوى المطابقة والجمع بين هذه المطالب ومطالب القران والسنة فكذبة كبرى لا ينبغي أن يستمر انطلاؤها على الملأ العلمي ، فان القوم يأخذون الفكرة من تلكم المنابع الآسنة ثم يأتون الى النص فيلوون عنقه فان أبى أولوه ولو راجعتم لوجدتم ان هناك

ضمائرهم واسرارهم وحصلت ما وجدته في كتب اليونانيين والرؤساء المعلمين تحصيلا يختار اللباب من كل باب ... الخ .

هذه مصادر فلسفة الملا صدرا ولا يمتلك الا دعوى المطابقة لما ثبت في النصوص الشريفة ولعلي اقف معه وقفة اخرى في خصوص مسالة حدوث العالم واثبات مخالفة معطيات اساتذته هؤلاء لما ثبت عند المسلمين بالقطع واليقين .

استدلالات قائمة على أخبار لم تثبت اما انها لا أصل لها او انها عامية او ابتعدوا بها عن ظاهرها او اغفلوها عند البحث فراجع واغتنم[١].

ولنذكر بعضا من ذلك :

١ـ كان الله وليس معه شئ وهو الان كما كان .

مرسل في الفصول المهمة ج١ص١٥٤ وقريب منه في صحيح البخاري ج٤ ص ٧٣ وج ٨ ص١٧٥ وغيره من كتب العامة ، وورد مثل معناه في كتبنا ايضا .

والاضافة لم ترد في النصوص لامن طرقنا ولا من طرق العامة وهي (وهو الان كما كان) بل هي زيادة من الجنيد الصوفي كما ذكره الشعراني في حاشيته على شرح اصول الكافي للمازندراني ج٣ ص ١٢٣ .

٢ـ تخلقوا باخلاق الله .

---

١ - وقد بحثنا في الروايات التي استشهد بها ملا صدرا في الاسفار فوجدنا فيها الكثير من الموضوعات واخبار العامة والله المستعان . وطبع البحث بعنوان (الاسفار عن نصوص الأسفار) .

لم يرد من طرقنا ولا بسند ضعيف ، بل هو عامي حكم العامة بضعفه .

٣ـ لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو فيها نحن .

لم يرد من طرقنا ولا من طرق العامة بل هو من موضوعات الصوفية .

وغير ذلك كثير يجده المتتبع لكتب القوم .

الواحة الرابعة

هل الفلسفة في العصر الاسلامي تابعة للفلسفة في العصر اليوناني ؟

هل للفلسفة في العصر الاسلامي تاصيلها ولمستها الكبيرة ؟

أسئلة راودت الباحث كما راودت غيره وحاولوا الاجابة عنها ولعل جواب الباحث لم يكن واضحا فقد قال :" وقد وقع الخلط لدى الباحثين في اصالة الفلسفة الاسلامية من حيث تأثرها وتبعيتها لعصور الفلسفة القديمة بمدارسها المختلفة ... الخ " .

والظاهر ان هناك اشكالية تاريخية كبرى يصعب حلها وحاصلها ان الفلسفة اليونانية او بعبارة دقيقة المنسوبة لليونانيين ، لا سبيل الى توثيقها فقد بقيت اقوالا في كتب الفلاسفة في الدور الاسلامي ولم تصلنا اصول الكتب المنسوبة الى اليونانيين ومما يثير الدهشة ان اليونانيين كانوا انذاك أُمة وثنية ، وما تحاوله الفلسفة هو ان تجعلهم في القمة من الاعتقاد بالتوحيد .

واليوم لا نجد في تاريخهم ما يؤشر الى تميز اؤلئك القوم الذين رفعهم الفلاسفة واعطوهم دور الريادة والتأسيس ، بل ينكرون ذلك وينسبون ما يوجد عند الشرقيين وغيرهم مما ينسب الى اليونانيين الى المسيحي أفلوطين ..

وعلى هذا فليس هناك فلسفة يونانية بل هناك دعوى انتساب لم يصدقها اهلها .

اما حديث الاصالة والابداع فله مجال في ما لو كانت الفلسفة قد جائت بما ينفع الناس في دينهم او دنياهم ، اما الفلسفة المتداولة فليست الا ابحاثا تجريدية حاولت الخوض في كل شئ من الخالق

والمخلوق ، وقد تحررت العلوم الطبيعية من اسلوب البحث التجريدي فتطورت حتى صارت الافكار المطروحة في الفلسفة الطبيعية اضحوكة يتندر بها ..

وبقيت مطالب ما يرتبط بالتوحيد وعالم الغيب وقوانين العقل البشري في حيز احترام امة من الناس احسنوا الظن بها فجالت بالعقول ايما جولان وابعدت الحقيقة عن يد الباحثين والله المستعان.

والحاصل : لا مسوغ في البحث التاريخي حول الاصالة والتبعية لامور :

الاول : ان اصول المسائل الفلسفية ليست من ابداع العقل الاسلامي بل وفدت الى الثقافة الاسلامية من خارجها وقد وقف الاسلام موقف العداء لها لما مثلته من مجانبة الحق والضلال والاضلال عن عقيدة التوحيد الحقة .

الثاني : ان الاصالة ان كانت بمعنى السبق فالفلسفة أيا كان منشؤها هي السابقة على الاسلام وان كانت بمعنى الغور العلمي بما يحقق الهدف والغاية منها فاننا نجد ان الدور الاسلامي زاد فيها

مسائل وتفريعات لا ريب في ان بعضها مفيد ولكن لا نرتاب ايضا في ان اكثرها تخرصات وخيالات ما انزل الله بها من سلطان .

الواحة الخامسة

علم الكلام علم لم يحظ بنصيب وافر من الدراسة الواعية الحرة مما ادى الى انطلاق نزعة التقليد في مسائله بل وفي تقييم مساره التاريخي والكلام في علم الكلام طويل مشج ولكن لابد من التعرض الى شئ منه هنا لما نثره الباحث الجواد من افكار لا يؤيدها واقع العلم بعد الفحص والمتابعة .

علم الكلام او الفكر العقائدي الاسلامي هو فكر اسلامي قرآني تكفل بيانه القرآن والسنة الشريفة واعلامة المؤسسون هم الرسول الاعظم واله الاطهار صلى الله عليه واله ..

نعم لعلم الكلام ادوار مر بها ولكننا لا نرى التنازل عن اصالة التأسيس الاسلامي لهذا العلم لأنه العمود الفقري للدين الاسلامي وتطوره انما هو في جانب الدفاع عن العقيدة او اسلوب

العرض ، وللتوضيح نقول : ان علم الكلام هو علم بيان العقيدة والدفاع عنها ، فلعلم الكلام وضيفتان :

الاولى : بيان العقيدة الاسلامية .

الثانية : الدفاع عن العقيدة الاسلامية امام الشبهات المثارة من الخصوم .

ونجد ان هناك اغفال للجانب الاول حتى ان الباحث قال " واما سبب نشوء علم الكلام عند المسلمين فقد كان "للدفاع عن عقائدهم باسلوب البراهين الفلسفية ..الخ "

ولكن بعد استيضاح حقيقة علم الكلام نجد أن اصالة تأسيس علم الكلام واسلاميته مما لا يسع المنصف انكاره .

نعم لابد من معرفة الادوار التي مر بها علم الكلام وهي فيما نجد ملامحه واضحة بأدنى ملاحظة هي أربعة أدوار :

الدور الاول : هو دور النص ، وهو الدور الذي بينت فيه العقيدة الاسلامية بواسطة دعاتها المؤسسين المتمثلة بياناتهم بالقران الكريم والسنة الطهرة .

وهذا الدور هو أهم الادوار ولا ينبغي تجاوزه بحال وما يقال من ان الاعتماد على النصوص في تحصيل العقيدة خطأ علمي لاستلزامه الدور لا يعدو ان يكون وهما او شبكة من شباك الشيطان لابعاد الامة عن منبع العقيدة الحقة ودعاتها العظام صلوات الله عليهم[١] .

الدور الثاني : دور اوائل الغيبة الكبرى ، التي تميزت بقيادة العلماء وابتعاد القيادة المعصومة عن الساحة الفكرية للامة وبقيت النصوص وخضعت لاجتهاد الاعلام وتقديرهم للامور والمواقف واسلوب العرض والدفاع ومن هنا نجد ظهور المحاكاة للكلام

---

١ ـ وهو ما يُعرف باشكال الدور والتحقيق ان المطالب العقائدية يكون دور النص فيها اما بيان الاستدلال العقلي او الاخبار الغيبي وكلاهما لا غنى بالباحث عن الحق عن النص لتحصيلهما ، بل لا يعدو ان يكون اهمال النص في مجال العقيدة ان يترك الشأن العقدي للبحث الفلسفي او غيره فيكون التأصيل العقائدي للاسلام من خارجه وهذا عجيب ... ولعل منشأ الاشكال (الدور) هو ظنهم ان الاعتماد على النص انما هو تعبدا بالنص كما الفوه في الفقه والصحيح ما ذكرناه فلا دور ...

السني ابتعادا واقترابا في شقيه الاشعري والمعتزلي وهذا ما فرضته ضروف التولي للزعامة واهمية الاندماج في الجو الفكري العام مع الاحتفاظ بالخصوصية ، فاخطاوا واصابوا فجزاهم الله خيرا .

وفي هذا الدور ظهرت محاولات رد الفلسفة بالاسلوب العقلي مع ظهور حالة العداء بين الكلام والفلسفة وانفراد كل منها بمسائل تخصه .

الدور الثالث : دور التوفيق بين الفلسفة والكلام وانضج ما ظهر فيه هو تجريد الخواجا نصير الدين الطوسي ره وبهذا الدور صارت الفلسفة بمدرستها المشائية مقدمة للكلام بشكل رسمي ان صح التعبير .

الدور الرابع : هو دور ملا صدرا الشيرازي الذي قضى فيه على ملامح علم الكلام ولم يبق منها شئ كما اعترف به الشيخ مطهري في محاضرات في تاريخ الفلسفة .

تنبيه : لاينبغي اغفال امرين :

الاول : ليس كل ما ظهر من نتاج كلامي هو تابع لهذا التحديد لادوار علم الكلام بل كانت هذه هي الصبغة الغالبة .

الثاني : ان هناك مدارس عارضت وبشدة التغلب الفلسفي على المدرسة الكلامية وحاولت الرجوع الى المنابع الاصلية وفي مدى نجاحها او اخفاقها ما لا يسعني التعرض له هنا .

ومن هنا نقول لا تصح دعوى ان علم الكلام نشأ :" للدفاع عن عقائدهم باسلوب البراهين الفلسفية حيث حاولوا التنسيق بين الاراء الرائجة في الفلسفة وبين نظريات الاسلام للدفاع عن العقيدة الاسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية واستخدموا الاساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة " ص١٨ .

وذلك لان علم الكلام نشأ مع الاسلام بل هو عموده الفقري ولا وجود للاسلام بدون العقيدة .

الواحة السادسة

١ـ هناك اشكالية مهمة ينبغي الالتفات اليها وهي ان معظم الباحثين يجعلون علم الكلام عند المخالفين محط انظارهم عند البحث في تاريخ العلم او معرفة مميزاته اما نحن فجعلنا محور حديثنا عن علم الكلام هو ما عند الاصحاب .

٢ـ هناك خلط كبير عند الكثيرين بين المنهج العقلي والفلسفة نشأ من تسمية الفلسفة بالعلم العقلي واضفاء صفة العقلية عليها .

والاسلام دين ذو منهج عقلي اي يعتمد الموازين العقلية التي وهبها الله تعالى للانسان وليس دينا فلسفيا بمعني الفلسفة المطروحة عند البشر في مدارسها ومشاربها المختلفة .

٣ـ هناك اقصاء للنص عن سبيل تحصيل العقيدة بفرض ان النقل لا يمكن الاعتماد عليه ما لم يثبت اصل اعتباره وهذا لايتم الا بالعقل وبالعقل وحده .

والصحيح ان النقل له دوره الكبير في تبيان العقيدة الموافقة للعقل بالمعنى الذي نقول به اعني العقل الفطري المركوز عند نوع البشر .

٤ـ دعوى ان الفلسفة تدرس " لرد الشبهات وللاقناع ولتوسيع أُفق الذهن وزيادة المعلومات " غير تامة فان الشبهات انما ترد بالحق لا بالباطل والفلسفة هي مورد للشبهة ينبغي التصدي لردها .

ومن الغريب ان النص السابق يقول في تتمته :" والفلسفة ابعد ما تكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة " .

أ ليس من التناقض الواضح ان تكون فلسفة ابعد ما تكون من الحق وسيلة للدفاع عن الحق ؟

لا ينبغي التوقف في بيان حقيقة ان الفلسفة دخيل مشوه وان توقف بعض الاعلام في بيانها انما هو لانجذابهم اليها من جهة ووضوح مخالفتها للدين كما اعترف به المظفر ره هذا ما جعل هناك تأرجحا في التقييم والموقف .

والجدير برجال الفكر الحر والباحثين عن الحقيقة والمناصرين لمعارف ال البيت الطاهرين صلوات الله عليهم ان يكون لهم موقف واضح ناقد رافض مواجه لفلسفة خالفت معطياتها معطيات الدين.

٥ـ دعوى ان قطعي الفلسفة لا يخالف قطعي الدين ، كلام مضبب لا واقع ورائه فان الحكمة المتعالية أقرت قدم العالم مثلا ، وأقرت بسيط الحقيقة كل الاشياء[١] ، فهما من معطيات الفلسفة فهل تتنازل عنهما الفلسفة ام نتنازل عن عطاء الاسلام في بيان الواقع من حدوث العالم وان الباري خلو من خلقه وخلقه خلو منه كما وردت به النصوص الشريفة .

٦ـ لا ادري كيف تنسجم دعوى ان الفلسفة بعيدة عن العقيدة الصحيحة الخالصة مع دعوى ان علماء الشيعة فلاسفة ولهم نصيب

---

١ ـ وهذه الفكرة هي تعبير عن وحدة الوجود المرفوضة عقلا و المباينة للقواعد الدينية البديهية القائمة على اثنينية الوجود .

وافر في الفلسفة ! وما يضر الشيعة تجاهل الانسانية لتراث ساهم فيه بعضهم لا بما هم شيعة لوضوح ان الفلسفة لا تمثل الاسلام كما اعترف به الشيخ المظفر ره .

٧ ـ لا يشكل الفكر الفلسفي لبنة في البناء الفكري الاسلامي بل هو العدو اللدود له والله المستعان .

الواحة السابعة

انتقل الحديث الى التصوف والعرفان وعلاقة الفلسفة به بعد ان لم يتضح لنا الموقف من الفلسفة حيث الخلط الواضح بين المنهج العقلي والفلسفة سببه ما تعرضنا لبيانه من جعل الفلسفة هي المظهر المقنن للمنهج العقلي تارة ومن النظر اليها وهي بثوب الوافد اليوناني تارة اخرى فلم يصل الباحث الى اعطاء صورة واضحة حول الموقف من الفلسفة .

ونضيف هنا : الفلسفة صنعة لها كتبها الخاصة وهي معروفة متداولة فلا يمكن اعطاء رؤية واضحة حولها ما لم ينظر الباحث في

تلكم الكتب وينطلق في توصيفها او تاييدها او رفضها من واقع الفلسفة ومناهجها ومعطياتها .

ونجد ان التتبع والقراءة المنصفة تؤكد ابتعاد الفلسفة عن الدين في مناهجها ومعطياتها ، ولا يعني اصطباغ فكر بعض الاعلام بها او نظرتهم الايجابية لها نجاة الفلسفة من واقعها المضاد للدين ، ولا تعدو هذه النظرة ان تكون نظرة تقليد وحسن ظن وليست نظرة علمية موضوعية ، ومن واقع خطورة هذا الفن والاستعراض الفكري نجد أن الموقف العلمي والديني الصحيح او اعطاء الموقف بعد الاطلاع الواعي والوقوف بجدية امام هذا الوافد اليوناني الاصل الذي تغشته هلوسات الاشراق فانتجت مشوهة تدعى " حكمة متعالية " !

وهذه الفلسفة هي الصورة البرهانية ـ زعموا ـ للعرفان فليس هناك شيئان ولا فنان بل هناك وجهان مشوهان لعملة واحدة مزيفة

ومن الشواهد على ما نقول اعتراف كبار هذا المسلك به وقد كفانا السيد كمال الحيدري عناء جمع الشواهد فجمعها هو في توحيده الجزء الاول ص ٢٢٩ فقال :

"بغياب الحركة النقدية العلمية الشاملة لمشـروع صدر الدين الشيرازي الفلسفي تمتلئ الساحة على سواء باتجاهات تبالغ بما حققه او تجحف به من خلال الحط من انجازه بانتظار ولادة تلك الحركة التي تدرس فلسفة صدر المتالهين برؤية شاملة وتقيم الانجاز الصدرائي بصيغة متوازنة ، نمر على شهادات خطيرة تلتقي في الدلالة باجمعها على ان ابرز مرتكزات الحكمة المتعالية تثوي في كتابات الشيخ محيي الدين بن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) بالاخص كتابيه (فصوص الحكم) و(الفتوحات المكية) وان كل ما يعود لصدر الدين الشيرازي هو تشييد الابنية البرهانية لمقولات الشيخ الاكبر وامهات افكاره ، بحيث لم يكن كتاب (الحكمة المتعالية) الا صيغة برهانية لمقولات ابن عربي وافكاره .

الدال في هذه الشهادات ، انها باجمعها تنتمي الى رموز كبيرة من ممثلي مدرسة (الحكمة المتعالية) الذين سبروا بواطنها ، وغاصوا اغوارها ، واحاطوا بخفاياها باستاذية لامعة يشهد لهم بها الجميع .

بعض هؤلاء اختار منهجا تحليليا تطبيقيا لكتاب (الحكمة المتعالية) مثل الباحث الشيخ حسن حسن زاده آملي، الذي راح يفكك نصوص صدر الدين الشيرازي ويرجع محتوياتها الى اصولها في كتابات ابن عربي ، فانتهى بعد مش يناهز العشرين عاما من البحث التنقيبي الى ما يلي : ((ان جميع المباحث الرفيعة والعرشية للاسفار منقولة منةالفصوص والفتوحات وبقية الصحف القيمة والكريمة للشيخ الاكبروتلاميذه بلا واسطة او مع الواسطة)) ثم يقول : ((اذا ما اعتبرنا كتاب الاسفار الكبير مدخلا او شرحا للفصوص والفتوحات فقد نطقنا بالصواب)) .

كما يقول ايضا في واحدة من الحصائل التي انتهت اليها دراسته :" ان صدر المتألهين نفسه يذكر اسم ذلك العظيم باجلال ، كما يذكر صحفه العلمية ، وهو يفعل ذلك بخشوع وتواضع لايضارع بكر

احد من اكابر العلماء ومشايخ اهل التحقيق ، واعاظم اهل الكشف والشهود ، ولا يثني على احد كما يثني عليه لانه يعرف افضل من أي شخص آخر ان اساس حكمته النتعالية الفتوحات والفصوص ، وما اسفاره العظيمة الا شرح تحقيقي لهما " .

مع انه يشير الى ان هذا المعنى لايخفى على أي متضلع بالحكمة المتعالية من جهة ، وبالكتب العرفانية الاصيلة على رأسها الفصوص والفتوحات من جهة اخرى ، الا انه يورد عددا من الشواهد التي اخذها صدر المتالهين عن الشيخ الاكبروعرضها باسفاره بعد ان كساها ثوب البرهان .

من الشواهد التي يذكرها ، قاعدة (بسيط الحقيقة كل الاشياء وليس بشئ منها) التي اشاد صدر الدين الشيرازي على اساسها برهانه في اثبات مبدء العلم الالهي التفصيلي بالاشياء قبل الايجاد ، وهو العلم الاجمالي في عين الكشف التفصيلي .

ينظر دو مين يادنامه علامة طباطبائي [الكتاب التذكاري الثاني للعلامة الطباطباءئ] طهران ١٩٨٤، بحث الشيخ حسن

حسن زادة آملي المعنون : (العرفان والحكمة المتعالية) ، ص٣٦ ، ١٦ بالفارسية .

اما الشيخ جوادي آملي الذي يعد ابرز ممثلي مدرسة الحكمة المتعالية في حوزة قم المعاصرة ان لم يكن ابرزهم على الاطلاق ، فهو يعتقد ان النصاب التام لما ذكره الفخر الرازي في ابن سينا من انه : " ما سبقه اليه من قبله ولا لحقه من بعده " هو الشيخ ابن عربي الذي يقول فيه : " لا يرقى اليه احد من بين معاريف اهل العرفان ، ولا له نظير منذ عصره حتى الان .... لان جميع ما قاله الاخرون وكتبوه بالعربية والفارسية ، نثرا كان او نظما في الماضي والحاضر يعد بضعة نسبة الى بحر محي الدين المواج "

ثم يتحدث عن المسافة العلمية بين الشيخ الاكبر من جهة وبين شيخ الاشراق وصدر المتالهين من جهة اخرى ، فيقول نصا : " ان المسافة العلمية التي تفصل ابن عربي عن شيخ الاشراق (رحمه الله) شاسعة ، وعن صدر المتالهين (قدس سره) ليست قليلة ، الذي يشهد على ذلك ما يبديه صدر المتالهين لمحي الدين من احترام غير

متناه ، مما لايدانيه فيما يفعله مع أي حكيم او عارف آخر ، ذلك لان الكثير من مباني الحكمة المتعالية مدينة الى العرفان الذي ارسى قواعده المعروفة ابن عربي نفسه " .

ينظر : رسالة القرآن ، اية الله عبد الله جوادي آملي ، مؤسسة رجاء الثقافية، طهران ١٩٩١ ،ص١٠٧ ، بالفارسية ....

ثم شهادة اوقع اثرا تعود لاستاذ السيد محمد حسين الطباطبائي ، السيد علي القاضي التبريزي ، يقول فيها نصا عن مقام ابن عربي : " ان احدا من الرعية لم يبلغ الى ما بلغه محي الدين بن عربي في المعارف العرفانية والحقائق النفسانية ، بعد مقام العصمة والامامة "

ثم ينعطف موضحا تاثير ابن عربي المطلق على صدر الدين الشيرازي فيقول : " كل ما لدى ملا صدرا هو من محي الدين ، وقد جلس على مائدته " . الكتاب التذكاري ، مصدر سابق ص٤١ .

اما العلامة الطباطبائي فيعتقد انه : " لم يستطع احد في الاسلام ان ياتي بسطر واحد(مما كتبه) محي الدين "

ينظر المنظومة ، الشـرح التفصيلي الشهيد مرتضى مطهري ،الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، هامش صفحة ٢٣٩ ، بالفارسية .

كما ان الشيخ مرتضى مطهري نفسه يسجل : " ان الملا صدرا لايتواضع لاحد كما يتواضع لمحيي الدين ، وهو يعد ابن سينا لاشئ مقابل محيي الدين " . المصدر السابق ، هامش ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

تفيد هذه الشهادات اجمالا ان الجذور المعرفية لصدر الدين الشيرازي تعود الى الشيخ ابن عربي ، ولو قدر لهذه النقطة ان تثرى بالمزيد من الدراسات التحليلية والتطبيقية لعاد ذلك بالنفع الجليل على حركة الفكر الفلسفي و العرفاني بما يحفظ لكل رمز انجازه ودائرة ابداعه دون بخس او تضخيم .

اجل يبدو ان احدا من الدارسين لايختلف في ان صدر الدين سعى الى تاسيس العرفان على البرهان ، ومن ثم سعى على ان ترتدي مقولات ابن عربي وافكاره ثوبا برهانيا ، لكن هل يعني ذلك ان آثار الشيخ الاكبر تخلو من الاستدلال البرهاني تماما ! "

وقد اضاف الحيدري في كتابه الاخر (العرفان الشيعي ص٢٢) قائلا : واما العارف فلا علاقة له بالفهم والعقل وادراك المفاهيم والصور ، بل غايته التي يسعى للوصول اليها هو مشاهدة جمال الحق وشهود حقائق هذا العالم على ما هي عليه وليس الكمال الذي يبتغيه هو تحصيل صور هذه الاشياء) ومن هذا نعرف ان ملا صدرا هو المنظر لمشاهدات ابن عربي وبتعبير الحيدري هو من (سعى على ان ترتدي مقولات ابن عربي وافكاره ثوبا برهانيا) وانبه هنا الى ما ذكره الحيدري نقلا عن القيصري من (ان اهل الله انما وجدوا هذه المعاني بالكشف واليقين لا بالظن والتخمين ، وما ذكر فيه مما يشبه الدليل والبرهان انما جئ به تبيها للمستعدين من الاخوان) فما يذكرونه مصدره الكشف ـ وهو قعقعة ليس وراها شئ بل فرية كبرى ـ ، بل ان شيخهم الاكبر ان عربي يقول ـ كما نقله الحيدري في عرفانه ص٢٠ : " ان اهل الافكار اذا بلغوا فيها الغاية القصوى اداهم فكرهم الى حال المقلد المصمم ، فان الامر اعظم من ان يقف فيه الفكر فما دام الفكر موجودا فمن المحال ان يطمئن

ويسكن ، فللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري .." .

ومن هنا نقول ان العرفان ليس شانا اسلاميا بل هو تشويه في الدين ولا ينبغي الخلط بين التقوى والمعارف الحقة وبين المسلك العرفاني المعروف ..

فليست الكوفة منزل العرفان الاول ولا الائمة الهداة صلوات الله عليهم ولا القرآن العزيز هم منبع العرفان المتداول بل ان هذه الدعاوى تضفي على العدو ثوب الصديق .

وأخيرا

أتسائل

هل من الدين الاسلامي الاعتقاد او التأييد ولو لبعض الناس ان يعتقدوا بالامور التالية :

الاول : ان القران جاء لهداية العامة وفصوص الحكم لهداية الخاصة وهما كتابان احدهما انزل على الرسول الاعظم صلى الله عليه

واله وهو القران والاخر صدر عن الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وهو فصوص الحكم الخ ما زخرفه حيدر الاملي في كتابه نص النصوص في شرح الفصوص .

الثاني : الاعتقاد بما يسمى ببسيط الحقيقة كل الاشياء .

الثالث : الاعتقاد بالوحدة الشخصية للوجود .

وهذه ثلاثة مطالب اعترف بها اؤلئك القوم نصا ، وهي ضلال ظاهر ، والاعتراف بخطأها وانحرافها والتحذير منها خير لنا من التضبيب حولها وحمايتها وتركها تتغلغل في قلوب بعض الخاصة بل ربما تسربت الى بعض العامة والله المستعان .

حيدر الوكيل

النجف الاشرف

ليلة الثاني عشر من ربيع المولود ١٤٣١هـ

نظرة يقظة ... القسم الثاني

وقفت مع الاستاذ الدكتور الطريحي دام عزه في واحات حول مقدمته لكتاب احلام اليقضة للشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله ، وليس ما فيها كل ما في المقدمة فضلا عن الكتاب وها انا ذا اعود في هذه المرة لاضع بين يديه مذاكرات في مقدمته تلك .

المذاكرة الاولى

تميز الاسلام بانه وضع الاطر والتعليمات الواضحة لكل ما يحتاجه الناس والرسول الاعظم صلى الله عليه واله بلغ دينا واحدا واضحا[١] شمل كل حياة الانسان ، وقد تكفل المبلغون عن الله تعالى محمد واله صلى الله عليه واله ايصال المعرفة التوحيدية الى الناس باوضح صورة واجلى حجة ، ومن هنا نتسائل لماذا لم يوضح

---

١ قال رسول الله صلى الله عليه واله :" أيها الناس إنى قد جاءني من أمر ربي ما الناس إليه صائرون ، وإني قد تركتكم على الحجة الواضحة ليلها كنهارها ، فلا تختلفوا من بعدي" ، بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٢٨ ص ١١١ .

الرسول الاعظم والائمة الهداة وهم السبل الى الله تعالى لم يوضحوا الطرق العرفانية للاخذ بيد (اهل السير والسلوك) ؟! حتى تركت تلك الرحلة نحو التوحيد الحقيقي الى نساج مجهول يبلغها في جو مشوب بالتعتيم والريبة ! لماذا يقف الائمة الهداة الى الله والادلاء على توحيد الله صامتين امام بيان طريق السير والسلوك لتظهر في اجيال طويلة بين العامة وهم هم في موقفهم من ال البيت وامر الولاية المحور الاهم في فكر الائمة الهداة صلوات الله عليهم ؟!

وهل تكفي " حسن النوايا والاخلاص للمبادئ الاسلامية "[1] لتبرئة العرفاء من تحريف الدين والالتفاف عليه والابتعاد عن المناهل الاسلامية العذبة والارتواء من آجن ابن عربي الصوفي الضال ؟!

هل دعاوى العرفان وعلى رأسها وحدة الوجود مما اشاد هيكله الاسلام ؟!

---

١ احلام اليقظة المقدمة هامش رقم ١ ص ٢٧ .

كلا وحاشا بل هي افكار انهكها ضلال الصوفية وهوسهم بالاتحاد بالاله فزخرفوا الفكرة واحاطوها باطار من التقديس ليقف الباحث داخل قفص الاتهام ان هو حاول ان يمس تلك الافكار ليرمى بسذاجة الفهم او غيرها مما تعود القوم رمي خصومهم به . فالعرفان يا فضيلة الدكتور لا شأن له بالاسلام لا تأسيسا ولا نتائج بل هو تشويه لمعالم الدين ومعطيات الفكر الاسلامي الامامي الرصين .

المذاكرة الثانية

في العطاء الديني مفردة مهمة هي العبادة من صلاة وصوم وحج ودعاء وزيارة وقد تميز الشيعة الامامية ـ اعز الله دعوتهم ـ بانهم ذوو تراث كبير جدا من الادعية والزيارات التي شكلت نصوصا معرفية عبادية لا نظير لها وقد اهتم علماء الشيعة بجمع هذا العطاء المميز والحفاظ على هذه الروافد الكبيرة كجزء من مسؤليتهم الدينية اولا ولتكون منهاجا للعابدين المتقربين بما ورد عن ائمتهم

صلوات الله عليهم الى الله تعالى ، هذا هو السر في وجود هذه الكتب و ليس السلوك العرفاني الذي :" شهد ازدهارا مجددا في مدرسة النجف اتيح لها معه هذه المرة ان تساهم بفعالية مشهودة في تأسيس الحكمة العرفانية عند الامامية على يد السيد حيدر الاملي "[١] .

بل اننا نجزم بان ما تبناه حيدر الاملي هذا مخالف لقطعي الدين ولا نتردد في نسبته الى الزيغ والضلال ولا نظن باحد لومنا على ذلك بعد ان يطالع كتبه واليك نماذج من ضلالاته والله المستعان .

١ـ قال في كتابه نص النصوص ص٣ في معرض مدح الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه واله :" المختص بانزال كتاب جامع موسوم بالقران بموجب قابليته . الملهم بابراز كتاب اخر موسوم بالفصوص ، لمن يكون له اختصاص اهليته . فيوصل بهما اليه سرا وعلانية عموم خلقه وخصوص امته ويهديهم بواسطتهما الى جناب جلاله وحضرة صمديته ".

---

١ ص ٣٢ من المقدمة .

٢ـ قال في ص١٨ :" وبناءا على هذا يجوز عليه الغلط في غير المعرفة بالله وعلى غيره من الكمل نبيا كان او وليا ... الى ان يقول : " وهذا الكلام كان ايراده في الفص الشيثي في معرض تخطئة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حكم الاسارى واصابة الغير ".

٣ـ قال في ص ١٩ :" ثم في فضيلة الكتاب النازل عليه الذي هو القران وشرفه على سائرالكتب السماوية وفضيلة الكتاب الصادر منه الذي هو الفصوص وشرفه على سائر الكتب الارضية".

٤ـ قال في ص ٢٨ :" وتاكيدا بان الشيخ[١] كان مستحقا لهذا الكتاب دون غيره من الاولياء والكمل في زمانه بل في زمان النبي الى يومنا هذا ".

٥ـ قال في كتابه الاخر اسرار الشريعة ص٢٢٠ :" ان ظهور جميع الانبياء والرسل عليهم السلام لم يكن الا لدعوة الخلق الى

---

١ هو ابن عربي .

التوحيد الالوهي والخلاص من الشـرك الجلي الذي هو بازائه ، وظهور جميع الاولياء والائمة عليهم السلام لم يكن الا لدعوة الخلق الى التوحيد الوجودي والخلاص من الشـرك الخفي الذي هو بازائه".

ومن راجع مؤلفاته يرى الكثير الكثير من مزخرفاته والله المستعان.

الفهرس